

# " تاريخ و فلسفة العلوم البيولوجية و الطبية عند جورج كانغيلهم " . ملخص دكتوراه العلوم

ك إعداد الدكتور: رشيد دحدوح.

جامعة منتوري - قسنطينة

إشراف الدكتور: زواوي بغورة

جامعة الكويت

تندرج أعمال الطبيب و الفيلسوف الفرنسي المعاصر " جورج كانغيلهم " "G.Canguilhem" (1904-1995) ضمن إطار التفكير في إشكالات العصر الراهنة من خلال المسائل و القضايا المتعلقة باستيمولوجيا محلية أو جهوية هي العلوم الحيوية، و تحديد الطب و البيولوجيا.



و لم يكن اختيار " كانغيلهم " للطب عشوائيا أو أملته ظروفًا وقتية عابرة، بل إن ذلك يعود لطبيعة الممارسة و المعرفة الطبيتين. فالطب يوجد على مفترق طرق مباحث معرفية متعددة. فإذا نظرنا إليه من وجهة نظر الطبيب فهو ممارسة فعالة و علم وضعي، أما إذا نظرنا إليه من وجهة نظر المريض فإنه علم إنساني بامتياز لأنه الأقرب إلى المعاناة الفردية للإنسان و المتجلية في قلق المريض، آلامه و آماله و مختلف مواجهه. وعلى ذلك فالطب يسمح للفيلسوف بالولوج مباشرة إلى الإشكالات الإنسانية المتعددة الأوجه و الأبعاد: نفسية، أخلاقية، بيولوجية، اجتماعية و حتى أنطولوجية.

و لم يكن اختيار " كانغيلهم " للطب عشوائيا أو أملته ظروفًا وقتية عابرة، بل إن ذلك يعود لطبيعة الممارسة و المعرفة الطبيتين. فالطب يوجد على مفترق طرق مباحث معرفية متعددة. فإذا نظرنا إليه من وجهة نظر الطبيب فهو ممارسة فعالة و علم وضعي، أما إذا نظرنا إليه من وجهة نظر المريض فإنه علم إنساني بامتياز لأنه الأقرب إلى المعاناة الفردية للإنسان و المتجلية في قلق المريض، آلامه و آماله و مختلف مواجهه. وعلى ذلك فالطب يسمح للفيلسوف بالولوج مباشرة إلى الإشكالات الإنسانية المتعددة الأوجه و الأبعاد: نفسية، أخلاقية، بيولوجية، اجتماعية و حتى أنطولوجية.

ويعكس التقابل بين الطب باعتباره علما وضعيا، وبين الطب باعتباره مبحثا إنسانيا

"بروسي" Broussais "أ. كونت" Comte و خصوصا " ك. برنار " CL. Bernard. أما النظرة الأخرى فذاتية تنطلق من الأخذ على النظرة الموضوعية إهمالها للإنسان الفرد و تجاهل مشاكله الحقيقية و الواقعية لصالح محاولات حثيثة لتسويته و إدخاله ضمن معايير

و المعرفة ، و فلسفة أخرى تفضل البحث في الوجود و الذات و التجربة المعاشة. و قد حاولنا أن نوضح كلما سنحت الفرصة أن " كانغيلهم " برغم انتمائه النظري إلى التيار الأول، فإنه عمليا أراد التوفيق و الجمع بين الفلسفتين عبر التأكيد على عدم تناقض " السواء " الذي هو مرحلة أولى مع " المعيارية " التي هي مرحلة تالية. وبالتالي عدم التناقض بين الحتمية و الضرورة و بين الحرية و الإبداع، و من ثمة تكامل " النظام " " Ordre " ، مع " التقدم " " Progrès " .

و من وجهة نظرنا، فقد وفق " كانغيلهم " إلى حد بعيد في الجمع بين التيارين تحت عنوان " فلسفة العقلانية الحيوية " رغم اعترافنا أن هذا الجانب من فلسفة " كانغيلهم " مازال مغمورا و غير معروف وسط أعماله الفلسفية الإيبستيمولوجية، و من ثمة لم يستثمر ولم يفعل بعد. إلا أن ذلك لا يمنعنا من الجزم أن أهمية كانغيلهم التنشوي (نسبة إلى نيتشا Nietzsche)، قد تتجاوز بشكل نوعي و كبير أهمية " كانغيلهم " الباشلاري ( نسبة إلى غ. باشلارد Bachelard).

و قيم محددة سلفا. و باختصار فإن التناقض بين النظريتين أو التوجهين هو تناقض بين الضرورة و الحرية، أو بتعبير " كانغيلهم " ذاته تناقض بين " السواء " " Normalité " و بين " المعيارية " " Normativité " .

على ضوء ما سبق، كانت الإشكالية المحورية التي حللنا و ناقشنا أفكارها الأساسية في رسالتنا تنحصر في التساؤل عن أسس و أبعاد النظرية الطبية الحديثة والمعاصرة التي ترد الإنسان (مريضا كان أو سويا ) إلى جملة من الميكانيزمات الآلية ذات الأساس الفيزيائي - الكيميائي الحتمي. كما حللنا نقد " كانغيلهم « لها من جوانب تاريخية و استيمولوجية لإثبات عدم مصداقيتها و محدوديتها معرفيا و إنسانيا. و من ثمة، هل يمكن اعتبار الإنسان الفرد خاضعا بالكامل لقيم و معايير بيولوجية خارجية أم هو واضع تلك القيم و المعايير وفق معياريته الحرة و المبدعة؟ إن هذه الإشكالية تعبر بعمق كبير عن تناقض أو شرح غائر في الفلسفة الغربية بصفة عامة، و الفلسفة الفرنسية الحديثة و المعاصرة بصفة خاصة. و يظهر ذلك الشرح كما عبر عنه بوضوح "م. فوكو" M.Foucault في فلسفة تفضل البحث في المفهوم و العقلانية